الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ: الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، **وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[المائدة:٧٢] ، **وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ .**

****

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى النّاقض الأول من نواقض الإسلام وهو الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالى ؛ الشِّرك في عبادة الله باتخاذ الأنداد والشّركاء مع الله، وذكَر دليلين من القرآن في بيان خطورة الشِّرك وسوء عاقبة أهله:

الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

الثاني: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

ثم ختم ذلك بذكر مثالٍ واحد لبيان الشِّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وحقيقته، وهٰذا من باب التوضيح للشيء بضرب المثال عليه وذِكر المثال أو ذِكر فرد من أفراده، ولهٰذا قال رَحِمَهُ اللهُ : «**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ**»، «مِنْهُ»: أي الشِّرك، «الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ» أي إراقة دم بهيمة الأنعام على وجه التقّرب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ فهٰذا من الشِّرك الأكبر النَّاقل عن ملّة الإسلام.

قال: «**كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ**» أي كمن يذبح بهيمة الأنعام مريقًا دمها متقرّبًا بذلك للجن ليجلبوا له بذلك نفعًا أو يدفعوا عنه ضُرًّا؛ كمن يبني بناءً أو يهيئ مسكنًا لنفسه، فيذبح عند عتبة بابه ذبيحةً للجنّ لِيَقُوه من الشر، أو ليجلبوا له في مسكنه النّفع والخير والفائدة، وكذلك كمن يتقرّب للقبر؛ أي يتقرّب للميّت في قبره بأن يذبح له ذبيحةً متقرّبًا بها إليه؛ فهٰذا كلُّه من الشرك الأكبر النّاقل من ملّة الإسلام، لأنّ الذبح قربة من أعظم القُرب وطاعة من أجَلّ الطّاعات ؛ بل هو أعظم العبادات المالية، كما أنّ الصلاة أعظم العبادات البدنيّة، قد جمع اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بين هاتين العبادتين العظيمتين في غير موضع من القرآن، ومن ذلكم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]، أي وانحر لربك؛ فجمع جَلَّ وَعَلا بين هاتين العبادتين العظيمتين: الصلاة؛ وهي عبادة

بدنية بل هي أعظم العبادات البدنية، والنّحر ؛ عبادة مالية وهي أعظم العبادات المالية. وقد اجتمع في هاتين العبادتين من الذّلّ والخضوع ، وتعظيم الله ، وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، والاستعانة به، وحسن الثِّقة به جَلَّ وَعَلا، وعِظَم الرّجاء لكريم موعوده وعظيم فضله، إلى غير ذلك من المعاني ما لم يجتمع في غير هاتين العبادتين، ممّا يدلّ على عِظَم شأنهما ورِفعة مكانتهما وعِظَم ثوابهما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وأنّهما من أعظم ما يتقرّب به المتقرّبون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ خضوعًا له عَزَّ وَجَلَّ وشُكرًا.

و«الفاء» في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فاء السّببيّة؛ أي بسبب أنّه أعطاك ومَنَّ عليك بالخير العظيم والمنّ الواسع والفضل العميم صلِّ له وانحر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؛ أي شكرًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالى واعترافا بمنّه وَجُوده وعطائه، أفْرِده جَلَّ وَعَلا بصلاتك، وأفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِنَسيكتك؛ فتنحر له متقرّبا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، طالبًا أجْرَه عَزَّ وَجَلَّ وثوابه.

وكذلك جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بين هاتين العبادتين في قوله جَلَّ وَعَلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، قُلْ أيها النّبي للمشركين الذين اتّخذوا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الشّركاء والأنداد فصرفوا لهم العبادة وقدّموا لهم النُّذور والقرابين ، قل لهم مُعلنًا توحيدك، مبيّنا إخلاصك لربّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، صادعًا بالحق والهدى ولو كره الكافرون ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ و«إنَّ» هنا من المؤكدات، ويُؤتى بهٰذا المؤكّد في الجمل الخبرية كما هنا ﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، إذا كان المخاطَب مُنْكِرًا أو شبه منكِر، وهٰذا فيه من الدّلالة أنّ المشركين كانوا في هٰذه العبادة على الشّرك بالله واتّخاذ الأنداد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيّه أن يقول لهم معلنًا مصرّحا صادعًا بالحق أنه مخالفٌ لهم في ذلك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مخلصًا في ذلك كلِّه لله جَلَّ وَعَلا ، لا أصلّي إلا له، ولا أذبح وأنحر إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، فهٰذا تقرُّبٌ، والتقرُّب لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

والتقرّب ببهيمة الأنعام بإراقة دمها لا يكون لا لجنّ ولا لقبر ولا لحجر ولا لشجر ولا لغير ذلك، وإنما يكون للذي أجرى الدَّم في عروقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، والذي تفضّل بها وبكلِّ نعمة جَلَّ وَعَلا؛ فالعبادة لا تكون إلا للمنعِم، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل:٥١-٥٣]؛ فالعبادة إنما تكون للمنعِم المتفضل المانّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وإراقة الدّم –دم بهيمة الأنعام– تقربا لا يكون لأيّ أحد كائنا من كان، وإنما

يكون للذي أجرى الدّم في عروق بهيمة الأنعام وتفضّل بها ومنّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ فإذا جُعلت النّسيكة لغيره سبحانه كان ذلك من الشّرك الأكبر الناقل من ملّة الإسلام.

قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾جمَع بين الصّلاة والنُّسك، والنُّسك: هو الذّبح، قوله ﴿نُسُكِي﴾ أي ذبحي

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ هٰذا تعميم بعد تخصيص، لما خصّ هاتين العبادتين بالذِّكر، الصلاة والنسك، عمّمَ بقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أحيا عليه وأموت عليه من إيمان وعمل صالح وتقرّب كل ذلك لله ربِّ العالمين.

قال: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و«اللام» هنا في قوله ﴿لِلَّهِ﴾ لام الاستحقاق؛ أي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى المستحق لذلك، الذي لا يستحقّ ذلك إلا هو عَزَّ وَجَلَّ ولا يستحقّه سواه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذِكْر الربوبية فيه إشارة إلى دليل الاستحقاق وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هو وحده المستحق لذلك لأنه وحده ربّ العالمين لا شريك له؛ فكما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تفرّد بالخَلق والرّزق والملك والتدبير فيجب أن يُفرَد سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالعبادة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أيضا فيه تقرير للتوحيد من جهة أخرى ؛ قال: ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ أي ربّ العالمين لا شريك له؛ لا شريك له في ربوبيته جَلَّ وَعَلا ، وكذلك لا شريك له في العبادة؛ فالعبادة حقّ له جَلَّ وَعَلا دون سواه، كما أنه عَزَّ وَجَلَّ تفرّد بالرّبوبية لا شريك له فيجب أن يُفرَد بالعبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لا ندَّ له.

وهٰذا الإعلان والصّدع بالحق والهُدى في هٰذه الآية الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى به نبيه محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء في مقام إبطال عقائد المشركين وضلالاتهم، ومن جُملة تلك الضلالات تقديم القرابين والنّسائك والذّبائح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ؛ تقديمها للأصنام وللأشجار ولغيرها ممّا يعتقدون فيه ويتقرّبون إليه، وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حالهم العجيبة البئيسة الشّنيعة القبيحة، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في القُرآن الكريم، مُبيّنًا عَزَّ وَجَلَّ أنهم كانوا يتّخذون مع الله الشركاء في هٰذه العبادة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾[الأنعام:١٣٦] أي جعلوا له وأيضا جعلوا لغيره؛ فلم يُخْلصوا له جل وعلا هٰذا الجعل وهٰذا التقرّب؛ بل جعلوا معه الأصنام ندًّا وشريكا، قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾، ذَرَأَ: أي خلق وأوجد؛ وهٰذا فيه الدّليل على وجوب إفراد الله بهٰذا التقرّب لأنه هو الذي ذرأ؛ أي هو الذي خلق وهو الذي أوجد وهو الذي تفضّل وأنعم ؛ فوَجب أن يُفرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالعبادة، ومن ذلكم الذّبح؛ ولكن كانت حال المشركين في هٰذه العبادة الشّرك والتنديد ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:١٣٦]؛ أي أن هؤلاء وقد تفضّل الله عليهم بالحرث، الزروع الطيّبة النافعة المفيدة، وتفضّل عليهم ببهيمة الأنعام؛ ولكنهم عندما يتقربون للشكر، شكر المنعِم، شكر المتفضّل، يقسمون هٰذا الحرث، ويقسمون بهيمة الأنعام التي تفضّل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالى- بها عليهم إلى قسمين: قسم يتقرّبون به إلى الله، ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ويجعلونه في مكان خاص، وقسم آخر ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي أن هٰذا مجرد زعم، أما في الحقيقة ليس لله، وهٰذا فيه تنبيه على مقام التّوحيد، هو في الحقيقة ليس لله جَلَّ وَعَلا لأنه لا يكون لله إلا ما كان خالصًا، فقولهم: ﴿هذا لِلَّهِ﴾، قال: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ هٰذا زعم، دعوى لأن الذي لله لا يكون إلى الخالص؛ أما إذا جُعِل لله شركاء فيه لا يكون لله ولا يقبله الله . ففي الآية تنبيه على ما ورد في الحديث القدْسي الذي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فيه: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))؛ فالذي يُتّخذ فيه مع الله الأنداد لا يكون لله؛ فهٰذا فيه تنبيه على مقام التوحيد وأنه لا يكون لله إلا الخالص، أمّا الذي ليس خالصا لا يكون لله؛ لأنّ ﴿لِلَّهِ﴾ فيها الإخلاص ، مثل ما قال الله في الحجّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٦]، فلا يكون ذلك إلا بالإخلاص، فإذا انتفى الإخلاص لم يكن لله ولم يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا قال: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾، أي هٰذا زعم زعموه وادّعاء ادعوه، وإلا من حيث الواقع والحقيقة فهو ليس لله؛ لأن الذي لله إنّما يكون الخالص.

﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ أي لأصنامنا ومعبوداتنا وأوثاننا؛ فيتقرّبون إلى الله جَلَّ وَعَلا بنصيبٍ، يجعلون نصيبا من الحرث والأنعام، ويقولون ﴿هٰذا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ، ويجعلون نصيبا آخر للشركاء يتقربون به إليهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ثم مع ذلك لو أن واحدةً من بهيمة الأنعام في القسم أو النصيب الذي خصّصوه لله بزعمهم فَرّت إلى القسم الآخر الذي خُصّص للأصنام، لا يعيدونها إلى مكانها؛ بل يتركونها تبقى مع نصيب الأصنام، ولو حصل العكس فرّت واحدة مما خُصص للأصنام إلى النصيب الذي خُصص لله بزعمهم يعيدونه، ولهٰذا قال الله سبحانه : ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:١٣٦]، أي أنّ حكم هؤلاء أسوء الحكم وأقبحه ، ولا أسوء منه ولا أقبح.

فهٰذه الآية فيها بيان وتصوير وإيضاح لحال المشركين المتّخذين الأنداد، وأنّ من أنواع شركهم وصنوف كفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى اتّخاذ الأنداد في باب الذّبح؛ فيذبحون لله ويذبحون للأصنام، وما يذبحونه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لا يقبله الله عَزَّ وَجَلَّ منهم لأنّ الشّرك مبطل للعمل كله محبط له، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ

إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]؛ فالشرك محبط للعمل كله، ناقل لصاحبه من ملّة الإسلام، ولهٰذا جاء -كما مرّ معنا في الآية المتقدمة- أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يصدع بالحق والتوحيد والهدى، مُبطلًا عقائد المشركين، ناقضًا شركهم وضلالهم وباطلهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ أي التوحيد والإخلاص لله والبراءة من الشرك ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] ، فهٰذا الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى به نبيّه وأمر به جميع النبيين، ولأجل ذلك خَلق الخلق كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذّاريات:٥٦]، ولأجل ذلك أرسل تَبَارَكَ وَتَعَالى الرُّسل كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقد جاء عن نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في أحاديثه الشريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التحذير الشديد من صرف هٰذه العبادة لغير الله ولعن من فعل ذلك، وبيان أنه مطرود مُبعَد من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كما جاء في الحديث الصحيح، حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه قال: حدثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع، قال: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيّر منار الأرض، ولعن الله من آوى مُحْدِثا))؛ فذكر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أمورا أربعة ملعون أصحابها مطرودون من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالى ، وبدأ بأخطرها وأشنعها وأفظعها وهو الشرك في الذبح بتقديم الذبيحة والقربان لغير الله، قال: ((لعن الله من ذبح لغير الله))، وهٰذا اللّعن يشمل كل ذبح تُقُرّب به لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ولو كان المذبوح من أتفه الحيوان وأخسّه؛ لأنّ المقصود عمل القلب والتقرّب، فإذا ذبح الإنسان متقرّبًا إلى غير الله ولو أخس الحيوان استحقّ هٰذا اللعن ودخول النار وأن يبوء بسخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وعقابه، وبدأ هٰذه الأمور الأربعة بلعن من ذبح لغير الله؛ لأن هٰذا شركٌ وما بعده كبائر، والشّرك أكبر الكبائر وأعظم الموبقات كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله)).

وتقديم القرابين لغير الله الذي لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث فاعله، يكون مستحِقًّا هٰذا اللَّعن والطرد والإبعاد من رحمة الله، ودخول النّار ولو كان متقرّبا بأخسّ الحيوان كما أشرت، ولهٰذا جاء في المسند عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب))، هٰذا أمر عجيب للغاية، الذّباب من أخس الحيوان وأحقره وأتفهه، حيوان حقير ولا يُؤبه به وليس له أي مكانة في النفوس؛ بل يتأذى الناس منه ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل

النار في ذباب))!!، تعجّب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قالوا: «وكيف ذاك يا رسول الله؟»، قولهم (وكيف ذاك يا رسول الله) هٰذا تعجب من الصحابة رضي الله عنهم ، أنّ هٰذا الحيوان الحقير التافه الذي لا يُؤبه به يكون سببا لدخول رجل الجنة وسببا لدخول آخر النار! عجيب هٰذا! قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟، قال: ((مرَّ رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوز أحد حتى يُقرِّب له شيئًا)) أيّ شيء، وقوله في الحديث: «شيئا» هٰذه نكرة تدل على العموم، وهٰذا فيه تنبيه أنّ مقصود دعاة الباطل عمل القلب والموافقة لهم على الشِّرك، ولو كان العمل المتقرب به في صورته ليس بشيء لا يبالون بذلك، المهم مشاركتهم في أساس العمل وموافقتهم في أصل التقرُّب لغير الله؛ فهُم عندهم صنم لا يجوز أحد، أي لا يمر أحد من عنده إلا إذا قرّب شيئا، أي شيء؛ ((فقالوا لأحدهما قرّب، قال: ما عندي شيء أقربه)) ما عندي ما أُقرّب، ليس عندي شيئا أقرّبه، ((قالوا: قرّب ولو ذبابا؛ فأخذ ذبابا وذبحه متقربا به على ذلك الصنم فمات فدخل النار))، قرّب ذبابا للصّنم. قوله في الحديث: ((فدخل النّار)) «الفاء» هنا فاء السّببية بسبب ذلك، وهٰذا يدلّ أنّه قبل هٰذه القصة كان مسلمًا، وإلا فما معنى قوله: «فدخل النار»؟ لأن هٰذا ذكر السّبب الذي بموجبه دخل النّار؛ فهٰذا معناه أنه كان قبل ذلك على الإسلام، وبعد أن ذبح ذبابا لغير الله كَفَر وأشرك ودخل بذلك النار، والدّخول للنار بسبب الشرك دخول أبديّ وخلود سرمدي، يبقى المشرك في النّار أبد الآباد مخلدا فيها، إذا دخل النار بسبب الشرك فإنه لا يخرج منها أبدَ الآباد؛ فدخل النّار بذباب، كان مسلمًا فذبح ذباب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فدخل به النار.

إذا كان هٰذا دخل النّار بسبب ذبابٍ قرّبه لصنم ؛ فكيف بمن يقرّب الشّاة السّمينة أو البقرة أو الناقة، وينتقي أسمنها وأطيبها وأجودها، ثم يريق دمها متقرّبا بها لقبر أو متقرّبا بها لجن!! مثل ما يقع على أيدي السّحرة قاتلهم الله أنّى يؤفكون! عندما يأتيهم آتٍ يشتكي من مرض أو مصيبة أو مُعضلة يأمرونه أن يذبح، ويشترطون عليه ألّا يأكل منه، وألاّ يسمي عليه، وأن يكون في المكان الفلاني قُربة إلى الجن، هٰذا ذبح للجن، تقرّبا إلى الجن، لا يذكرون اسم الله ويتقربون بها إلى الجن ؛ فإذا كان من تقرب بذباب لغير الله دخل النار فكيف بمن تقرب بدجاجة، أو تقرّب بكبش أو بقرة أو ناقة أو نحو ذلك؟! لاشكّ أن هٰذا أعظم، الذّباب لا يُؤبه به ، وهٰذه لها مكانة في النّفوس ومنزلة في القلوب ولها حَظوة عند أصحابها، ولهٰذا كان الذّبح من أعظم القُرَب المالية؛ لأن بهيمة الأنعام لها مكانة عند صاحبها، ولها منزلة في قلبه؛ فإذا جرّ واحدة منها وهي حبيبة إليه ولها مكانة في نفسه وذبحها، هٰذه قُربة مالية من أعظم القُرب المالية؛ فإذا كانت لغير الله فهٰذا من أعظم الشرك والكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

((**قالوا للآخر: قرّب، قال: لم أكن لأُقرّب لأحد غير الله**)) أعلن توحيده وإخلاصه، مثل ما جاء في الآية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، صدع بتوحيده

وإخلاصه، وهٰذا يدل على قوة التوحيد في قلبه ومكانته في نفسه أمام هؤلاء العتاة الجَلَاوزة المجرمين، معهم أسيافهم وعُدّة إزهاق روحه، لم يبالي «قال: لم أكن لأُقرّب لأحد غير الله»؛ وهٰذا فيه عِظم مكانة التوحيد في قلب هٰذا الرجل ؛ فأمسكوا به وذبحوه فدخل الجنة، دخل الجنة على عناية ورعاية عظيمة بالتّوحيد، ولم يبال بإراقة دمه في سبيل بقائه على التوحيد والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

والأول الذي دخل النّار بسبب الذّباب لا تخلو حاله من أمرين: إما أن يكون مُكرهًا على الفعل ، أو ليس مكرها عليه.

- وإذا قيل أنه ليس مكرها على الفعل – ولعل هٰذا الأقرب والله تعالى أعلم – لأن ظاهر سياق القصة وهي «لا يجوزه أحد» يفيد أن ذلك إنما يكون في مجاوزة الصنم؛ لكن من وصل إليهم ولم يُرِد أن يتقرب له أن يرجع؛ لكن لا يجوز أحد إلا أن يتقرب؛ فيمكن أن يرجع ولا يتقرّب إلى ذلك الصنم ؛ لكن هٰذا أراد أن يمضي في طريقه ولو حصل منه هٰذا الذّبح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، فرغب في المواصلة وأن يُجاوز المكان، فقرّب ومضى ومات فكان من أهل النار. وأيضا ظاهر كلامه من بداية الأمر يدلّ على ذلك، لهٰذا قال له: «قرّب»، قال: «ما عندي ما أقرّب» كأنه يقول: أنا مستعد، لكن ليس عندي شيء أقرّبه . فلم يحصل منه أي ممانعة ولا تردد ولا امتناع وإنما مباشرة قال: (ما عندي ما أُقرّب)، فقالوا: (ولو ذباب؟)؛ فذبح ذبابا، هٰذا يدلّ على ضعف التوحيد عنده، ولهٰذا دخل في الشرك بتقريبه لذباب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، فإذا قيل: إنه ليس مكرهًا فلا إشكال في قوله: «فدخل النار» لأنه تقرّبَ لغير الله ودخل النّار بسبب ذلك.
- وإذا قيل: إنه مكره على ذلك فأيضا لا إشكال فيه، لأن قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦] هٰذا خاص بأمّة محمد عليه الصلاة والسلام ، تجاوز الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عن أمّة محمد الإكراه، والأمم التي كان قبلها كان لا يُتجاوز عن الإكراه؛ بل يجب أن يصبر ويصمد على التوحيد؛ لا يقول كفرا ولا يُطاوعهم في شيء ولو أُريق دمه. وهٰذا يدلّ عليه دلائل منها قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام : ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه))، ويجد طالب العلم في هٰذا بحثا مفيدا وتحقيقا نافعا في «أضواء البيان» للإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عند قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾[الكهف:٢٠]، مع أنه فيه رجم، هٰذا نوع من الإكراه، قال: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾؛ فذكر رَحِمَهُ

اللهُ تَعَالَى تحقيقًا نافعا، وذكر جملة من الأدلة، وأيضا ذكر هٰذا الحديث –حديث الذباب– وأن الإكراه لم يُتجاوز فيه عمن كان قبلنا وإنما هو حكمٌ خاصٌ بأمّة محمد عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام .

وعلى كلّ فهٰذا الذي دخل النار في ذباب حاله لا تخل من أمرين: إن كان غير مكره ؛ وهٰذا قد يُستفاد من السّياق فالحكم واضح ولا إشكال ، وإن كان مُكرها فيقال: إن العفو بالإكراه إنّما هو خاص بأمة محمد عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام كما يدل لذلك دلائل عديدة وشواهد عديدة في الكتاب والسّنّة، وقد بيّنها الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وأختم فيما يتعلّق بهٰذا النّوع من الشّرك الذي أشار إليه المصنّف رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ**» أنّ الشّرك في الذبح يكون من جهتين: من جهة الاستعانة، ومن جهة التقرّب والقصد والنية؛ فهو يكون من جهتين، كما أن الإخلاص في الذبح يجب أن يكون من جهة الاستعانة ، وكذلك من جهة القصد والتقرب.

- والجهة الأولى: جهة الاستعانة؛ بذكر اسم الله جَلَّ وَعَلا على الذّبيحة عند ذبحها مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى على ذلك؛ فإذا ذُكر على الذّبيحة غير اسم الله جَلَّ وَعَلا كان ذلك شركًا في الاستعانة، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الأنعام:١٢١]، إذا تعمّد الإنسان أن لا يذكر اسم الله على الذّبيحة أو ذكر عليها اسم غير الله فلا تحلّ مهما كان الغيْر ، لو قال: باسم المسيح، أو قال: باسم الحسين، أو قال: باسم زينب، أو قال: باسم الجيلاني، أو غير ذلك، إذا ذُكر عليها اسم غير الله لا تحلّ ولا يجوز أكلها ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فهٰذه جهة؛ جهة الاستعانة بذكر اسم الله على الذبيحة تيمّنا بذكر اسمه وتبرّكا وطلبا لعونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وعندما يُضجِعُ الإنسانُ ذبيحتَه على جنبها ويضع السكين على رقبتها أو نحرها ويقول: "بسم الله" يقول ذلك تبرّكا بذكر اسمه وطلبًا لعونه سبحانه ومدّه، والباء في «بسم الله» باء الاستعانة؛ فمعنى قوله «بسم الله» عند الذبح : أي باسمه أذبح ذبيحتي وأقدّم نسيكتي، باسمه مستعينًا به، متبركًا بذكر اسمه جَلَّ وَعَلا ؛ فإذا جُعل هٰذا النّوع من العبادة وهو عبادة الاستعانة لغيره، يضع سكينا على نحر الذبيحة ورقبتها ويقول: بسم فلان أو علان هٰذا من أعظم الشرك، وهو شرك من جهة الاستعانة.
- والجهة الثانية: جهة التقرّب والقصد؛ بأن يقصد بذبحه للذّبيحة غيرَ الله، يذبحها مثل ما مرّ للجن أو للقبر أو لشجر أو لحجر أو غير ذلك هٰذا شرك من جهة التقرّب والتعبد. قد مرّ معنا أن التّقرب بالذّبيحة لا يكون إلا لله

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لا أتقرب به إلا إليه، وكذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، في الحديث الذي مرّ ((لعن الله من ذبح لغير الله)) أي متقربا به لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذًا الإخلاص لله في الذّبح يكون من جهتين: من جهة الاستعانة، ومن جهة العبادة وقصد التقرب، فالذبيحة تكون «بالله»، و«لله»؛ بالله: مستعينا ، ولله: متقرّبا، وإذا كانت جهة الإخلاص في الذبيحة من جهتين بالله أي مستعينا ، ولله متقربا ؛ فإن الشرك في هٰذا الباب يكون على ثلاثة أحوال:

❖ الحال الأولى: أن يُشرك الإنسان في الذبيحة من الجهتين؛ فيستعين في ذبحها بغير الله ، ويتقرب بها لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، بأن يقول عند الذبح: بسم فلان أو علاّن، هٰذا شرك في الاستعانة، وأن يقصد بهٰذا الذبح التقرّب لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وهٰذا شرك في العبادة والتقرب؛ فيكون شركه من جهتين: من جهة الاستعانة ومن جهة التقرب.

❖ الحال الثانية: أن يكون الشرك من جهة التقرب ولا يكون من جهة الاستعانة؛ مثل أن يأتي الإنسان بالذبيحة ويقول عند ذبحها: "بسم الله"؛ ولكنه في قلبه قصَد أن يتقرّب بها للقبر أو للجن أو للصنم أو للشجر أو لغير ذلك، فهٰذا شركٌ من جهة العبادة وليس شركًا من جهة الاستعانة، لأنه عند الذبح استعان بالله وذكر اسم الله سبحانه وتعالى؛ ولكنّه في قلبه قصد بها غير الله؛ فهٰذا شرك ناقلٌ من ملّة الإسلام وهو شركٌ من جهة العبادة.

❖ الحال الثالثة – وهي نادرة وقوعًا –: أن يكون الشّرك من جهة الاستعانة ولا يكون من جهة التقرّب، يعني يقصد بذبحها التقرّب إلى الله وابتغاء وجهه سبحانه ؛ ولكنه عند ذبحه لها يذكر عليها غير اسم الله، "بسم فلان أو علاّن"؛ ولكنه من ناحية التقرّب يقصد بها التقرّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

فهٰذه ثلاثة أحوال كلها شرك في باب الذبح . والواجب أن يُخلص العبد ذبحه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى استعانةً وتقربا؛ استعانةً: فلا يذكر على ذبحته غير اسم الله عَزَّ وَجَلَّ ، وتقرّبا : لا يتقرب بذبيحته إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

ثم إذا ذبح الإنسان الذبيحة للحم، ليأكل لحمها أو ليقدّم لحمها لأضيافه، يقال: ذبح ذبيحةً لأضيافه، أو ذبح ذبيحة لأولاده؛ هٰذا النوع من الذبح ليس من باب التقرب وإنّما هو ذبح لأجل اللحم؛ عندما يقال: ذبح لأولاده أو ذبح ليأكل أو ليُطعم ولده ، يقول القائل: "ذبحت ذبيحة لي ولأولادي لنأكلها" هٰذا ليس للتقرب وإنما للأكل، وأيضا قوله "ذبحتُ لأضيافي ذبيحة" ناقة أو شاة أو دجاجة، هٰذا ليس للتقرب، هٰذا للأكل ؛ وهٰذا مباح، وإذا صَحِب ذلك نية صالحة يكون مأجورًا على ذلك، إذا صحبه نية صالحة أن يتقوى بهٰذا الأكل على طاعة الله ، أو أن يطيع الله ويكسب ثوابا في إكرام الضيف والإحسان إليهم يُؤجر، يدخل في باب الثواب

والأجر، وإلا هٰذا العمل مباح، مباح أن يذبح الإنسان الذبيحة ليأكل أو ليطعم ولده أو ليطعم ضيفه، وليس هٰذا من باب التقرب.

ولهٰذا تلبيس المضلّين أرباب الباطل في هٰذا الباب وخلْط الأمور وجعْل هٰذا الباب المباح مثل الباب الذي هم عليه باب الشرك، هٰذا من أسوء ما يكون في التلبيس والتشكيك للناس في عقائدهم، فهٰذا الذبح ليس تقرّب، عندما يذبح الإنسان لولده أو يذبح لأضيافه ليس للتقرّب. ولو خرج عن هٰذا النطاق إلى نطاق التقرّب دخل في باب الشرك، مثل لو جاء إلى الإنسان شخصٌ معظم عنده أو معظم عند الجميع له مكانة لمكانته ومنزلته، عظيم من العظماء، كبير من الكبراء، رئيس من الرؤساء، جاء عنده وهيّأ ذبيحةً إلى أن أقبل عليه الضيف فأراق الدم أمامه، يريق دمها أمامه مُظهرًا تعظيمه وإراقة هٰذا الدم لأجله، هٰذا دخل في باب التقرب، إذا قَصَد التعظيم والتقرب لهٰذا العظيم دخل في باب التقرب ولا تحلّ هٰذه الذبيحة ولا يجوز أكلها؛ لأنّها قُصد بها التقرب لغير الله.

أمّا ذبح الإنسان المعتاد ليأكل اللحم أو ليؤكِل ولده أو ليُطعم ضيفه فهٰذا أمر مباح، وإذا أحسن الإنسان في هٰذا الباب النيّة مثل: أن يتقوّى بأكله على طاعة الله وعبادته، أو أيضا نوى نيّة صالحة ليتصدّق بجزء منه للمساكين طلبا لأجر الله وثوابه، أو أن يُكرم ضيفه تقربا إلى الله عز وجل بهٰذا الإكرام للضّيف، هٰذا يدخل في باب الثّواب والأجر.

الشّاهد أن المصنّف رَحِمَهُ اللهُ مثّل بهٰذا المثال بالذّبح واقتصر عليه، واقتصاره عليه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قصد ذلك؛ لأن هٰذا النّوع من التقرّب يحصل كثيرًا، وخاصة -أنبّه على ذلك وأؤكد- عندما يُبتلى بعض الناس بمصيبة من المصائب أو بنازلة من النّوازل، شخص مثلا تأخّر الإنجاب عنده، وآخر أصيب بمرضٍ طالت مدّته معه، أو نزلت به نازلة أو جائحة؛ فإذا وقع في شدّة ألمه ومُصابه بيد أحد المضلين أوقعوه في مثل هٰذه الأعمال ، وكثيرًا ما يقع العوام والجهّال في التقرّب للأصنام والجن والقبور وغير ذلك من هٰذه الجهة ، يذهب إلى أحد أئمة الضّلال ودعاة الباطل ويقول له: أنا منذ أكثر من عشر سنوات ما أنجبت ولا جاءني الأولاد، يقول له: أبدًا عندي حلّ سريع جدًا ومجرب وكثير فعلوا هٰذا وجرّبوه مباشرة جاءهم الولد، أنت ما تعرف مكانة قبر فلان ومنزلته؟ قبره ترياق المجرّبين وكذا وكذا، خذ ذبيحة واذبحها عند قبره وسترى النّتيجة؛ أمام الجهل وقلة البصيرة وقلة الدّراية وقلة المعرفة بمكانة التوحيد يدخل العوام في هٰذا الشّرك زُرافات ووحدانا، وخاصة عندما يقع استدراج في هٰذا الباب بأن يحصل بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حصول ولد لأحدهم أو شفاء مريضٍ من مرضاهم، يحصل ذلك ويقدر الله عَزَّ وَجَلَّ حصول ذلك فيُستدرج هؤلاء بهٰذا الأمر ويقعون في الشرك، يقولون فلان، يذكرون حالة من الأحوال وينسون مئات الأحوال؛ فيقعون والعياذا بالله في الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ . ودعاة الباطل يستغل حاجة الناس وعوَزهم وفقرهم ونحو ذلك لإيقاعهم وإدخالهم في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، ولهٰذا قال نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إنّ أخوف ما أخاف على أمتي الأئمّة المضلين)).

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.